

علي ممدود خضير

العالم يستيقظ



سلسلة  
الشؤون  
لشهرية  
2010

العالم يستيقظ



علي محمود خضير

الحلم يستيقظ

الفاون

ولد علي محمود خضير في بغداد العام 1983. ساهم مع آخرين في تأسيس «نادي الشعر في البصرة» العام 2007. وهذا الديوان هو الأول له.

الطبعة الأولى، 2010  
منشورات «الغاوون»  
© جميع الحقوق محفوظة

تصميم الغلاف: مايا سالم  
لوحة الغلاف: صدام الجميلي

---

لبنان، ص. ب: بيروت - الحمرا 113 - 5626

ت: +961 71 573886

U.S.A: 17953 Hanna St. Melvindale

MI 48122 - Tel: 0013134299194

zeinab@alghaoon.com

www.alghaoon.com







## كَأَنَّ لَا لَيْلَ قَبْلَهُ

كان يشعُرُ بالوحشة،  
وحشة مَنْ يموتُ الليلة.  
كَأَنَّ جَمَاعَةً مِنَ المَوْتَى أَوْ المَلَأَكَةِ  
يَنتظرونه كي يأخذوه معهم  
حيثُ لَا رجعة أبداً

مرّاتٌ عدَّةٌ أَفَلتَ النَوْمُ منه، وظلَّ قلبُه يحومُ بأرجاءِ البيتِ  
كعصفورٍ أضاعَ سبيلَه، ليُدخلَ غرفةً بالصدفةِ.

الفِراشُ سَجَّادَةٌ أشواكٍ باردةٍ، مُهَّدتْ بعنايةِ.

كلُّ خطوةٍ يمشيها في الممرّاتِ تستعجلُه لِيُسرعَ أكثرَ  
أَيَّ مسافةٍ تكفي لردمِ هذا الوحشِ وإسكاتِ فحيحه؟

كان يشعُرُ بوحشةٍ مَنْ يموتُ الليلة،  
وكان الليلُ ثَقِيلاً كسِرِّ قديمٍ  
يُلحُّ بأسئلةٍ لَا جوابَ عليها،  
بأهوالِ جماعةٍ يَنتظرون ولا يتكلّمون  
لَا يُصدرون ضجَّةً كأنهم بلا أقدامٍ أو صفاتِ.



كأن الليل مُلِّكٌ مزاجهم الملتبس،  
ليل الوحشة.

ومن يدري أن لرعيه أبواباً لا تُفْتَحُ  
ومصايح مهشمة  
وسكاكين حادة وغير مرئية؟  
من يدري أن لألمه لغة بلا لسان  
أو لساناً منعقداً أو مشلولاً؟  
من يدري أن وحشته تتكرر  
وتمتد وتعلو وتتمطى،

وتمشي داخل رأسه وبين قمصانه المشربة بالرعدة؛  
أن ألوانه تتبدل وأن المسافات تختلط عليه  
أن الأسرّة تقضه بأشواك جافة،  
أن الليل سره النازف والنهار رهانه الأقلّ أماناً.

...

لا أحد.

كانت الوحشة مستمرة وغير نهائية  
كانت تفتح في جسده ثقباً تتأجج بثقوب متأججة  
وتحيل الجدران ألواح صلب والشبابيك مقاصد رطبة

ليل عاظم  
كأن لا ليل قبله  
كأن ساعاته موصولة بسلسلة من الساعات لا تنتهي إلا في الجحيم  
كأن الجحيم استضافته هذه الليلة باكراً؛  
ربما السماء نزلت ساحقة  
أو الأرض صعدت تنتفض.

وكان الفجرُ حتماً يصدأ،  
كان اشتعال الحاضر بزيت ماضيه وثقاب أيامه القادمة  
كان الخرقة التي يسدُّ بها فمَّ البركان

ومن يدري أن لبركانه آيات في الأزقة الضيقة  
والبيوت الواطئة،  
آيات لا مُرتلين لها ولا مُنصتين  
من يدري أن سكونه كاذبٌ وغشاش  
وأنه يغلي بأمارات مُلغزة:  
أمارته الفجرُ يدفعُ عنه تهمة الليل أو النهار  
أمارته أسمالٌ معتقةٌ بأشباح الغائبين ومصايحهم المظلمة؛  
يدُّ ترجفُ الحقيقة وتتنصل منها؛  
عينٌ تسكبُ كوايسها دفعةً واحدة.

...

لا أحد.

ومن له بعد كل ذلك  
من للمستوحش في ليلته الأخيرة  
غير ملائكة أو موتى  
ينتظرون...

## خيارٌ خاسر

حدّثتُكَ مرّةً:

كلُّ ليلةٍ تصلحُ أن تكونَ الأخيرةَ وكلُّ نهارٍ يحملُ بقلبه بذرةَ العدم

أحسبُ أنّ في رأسي يتجادلُ ملكان، لا يملآن حسابِ المرّاتِ التي أدتُ  
ظهري فيها لرسائلِ الليلِ والنهارِ  
أحسبُ أنهما تعباً كثيراً معي فتركاني هائماً في دروبٍ لا تستحي.  
أحسبُ أنّ نهاراتي القادمة أقلُّ خطأً.  
وأني خسرتُ بياضي بانتظارِ سوادِك.  
وأَنَّ ذنوبي لا تغفرُها رحمتُك.

كم حدّثتُكَ بعدها عن أجنحتي التي لا تخفق؟  
عن حقائقٍ خذلتنا وإشاعاتٍ صادقةٍ  
عن ذكرياتٍ تُطلقُ وحوشها على أيامنا العارية.

أحسبُ أنّك مللتَ حديثي لكنك تكتمُ:  
مللتَ الحكايا أفرسُها مخافةً أن تُنسى  
وأطلقُ أنفاسها لئلا تصدأ  
مللتَ السُّبُلَ نبذلُ فيها أعمارنا المحدّبة، ولا تعرّفنا

مللت الصوائح  
بلسانها الألتغ وصوتها الرديء  
مللت، لكنك تكتم.

قلت:

من يعبأ لأجنحة مسحوقة لا تخفق؟  
من يبادل حصي تغرق بطرقات ملؤها نشوة مبتورة  
من يعاند كل هذه الجماجم بأسنان أبدية تضحك  
من يضارب بأقدارنا المصقولة بعناية فائقة  
من ينادم الطمأنينة، يستدرجها،  
متجرعاً وخز فظاظتها ودناءته؟  
من يعاقب إحباطنا بشواطئ لا تمرض؟

حدتُك، ذات غور:

لا ملاذ لمن رأى الشمس تخفق مشنوقة بحبل العاصفة  
لا ملاذ لمن أرجأ خلاصه برمية زهر  
لا ملاذ لمن بدد بأسه في بهتان خلوده  
لا ملاذ لي وأنا أعدد ملاذاتهم الخاسرة!

قلت:

«إِنَّ كُنْتَ خَائِئاً مِنَ الْمُنْعَطِفِ الْقَادِمِ،  
فَأَغْمِضْ عَيْنَيْكَ  
وَأَقْبِلْ عَلَيْهِ، دُونَ اكْتِرَاثِ  
هَكَذَا سَتَغِيضُ الرِّيحَ بِسُخْرِيَةٍ بَسِيطَةٍ  
وَقَلِيلٍ مِنَ الشَّجَاعَةِ الْمُمْكِنَةِ».

وقلت أيضاً:

كم ثعباناً في قميصك أيها القدر؟  
كم سكيناً خلف ظهرك أيها الغد؟  
كم قبراً مخبوءاً فيك أيها الميت؟

أقوالٌ كثيرةٌ وأحاديثُ

أحاديثُ ما كان لها أن تنتهي

طالما عذبت المَلَكَيْنِ وهما يعدّان رسائل الليل والنهار التي أدرت لها

ظهري

تعباً،

وتركاني هائماً في دروب لا تستحي

فهل سترحل أنت أيضاً؟

... -

## وسواس...

لا معنى لهذا الوسواسِ غيرُ احتراقِ اليابسِ والأخضرِ من شجرةِ  
العمر.

كما تُقبلُ على بيوتٍ متشابهةٍ فتتداخلُ عليكُ أبوابُها وروائحُ ساكنيها  
وأُيُّ معنىً لا اختلاسُكُ لحظةً استرخاءٍ بين ساعاتٍ طوالٍ وأنتَ تصكُّ  
على أسنانكُ ورأسكُ.

أُيُّ معنىً من انتظارِ موتٍ قادمٍ لا محالةٍ.  
من اكتشافِ أن يدكُ لا تُعينكُ على كتابةٍ سطرٍ واحدٍ.  
أو، من اشتياقٍ لا يُفضي إلا لوخزةٍ باردةٍ أيسرُ صدركُ.

ومُذ كان الموتُ ديناصوراً لا يطلعُ إلا من كتبٍ بأغلفةٍ خضراءٍ، ويرتمي  
بهيةً تابوتٍ على رصيفٍ ضيقٍ، كنتَ يومها طفلاً كاملاً الجهالةِ وكانَ  
رُعبكُ دينارُ ذهبٍ في صرةٍ بخيلٍ.

وأنتَ، عبدُ الغدِ  
نساءُ الأمسِ  
كافرُ اللحظةِ

يا من تستدعي أشباحكُ واحداً بعدَ واحدٍ لتفرشَ بهم ليلاً. وتجرُّ  
غُذكُ بوسواسٍ أمسكُ. قديمةٌ ندوبكُ وساخنةٌ.

فكابوسكُ الطفلُ لا زالَ يشربُكَ على عِجالةٍ منذُ عشرينَ أو أقلَّ،  
يشربُكَ ثم يُعيدُكَ إلى الكأسِ نفسها وهو يضحكُ.  
وخببتكُ عينُ أعمى صدقٌ بوعدِ ظلمةٍ أسرَّتَهُ بفرارِها فأمن، ليفتحَ  
عينَهُ على ظلمةٍ.  
كخبيةٍ طفلٌ يلهو بطينٍ لن يصيرَ تمثالاً مهما دَعَكَهُ وتمنَّى.  
قديمةٌ ندوبكُ وساخنةٌ.

وأنتَ، قَمَاءُ آثارِ الغائبينِ  
الراحلونِ إلى هناكِ  
لا فيءٍ في قوادمِ أيامكُ  
فلا تهدرِ منَ الهنا الكثيرِ  
وتوقِّ.

أما رعبكُ فحياتكُ.  
توأمًا حزنٍ لن يفترقا حتى يعبرا الممرَّ الأخيرَ.  
وأما أنتُ فحيرةٌ طفلُ أمامِ بيوتٍ متشابهةٍ،  
شجرةٌ كسلانةٌ يحترقُ فيها اليابسُ والأخضرُ  
وتعبثُ الريحُ بثقوبها دونَ معنى.



## مشقّة أن تعرف

إلى زحل

البارحة

حينما خرجتُ من جسدي سالماً، رأيتُك تركضينَ برداءِ أسودٍ ودمعةٍ  
أخيرة. كانَ الليلُ وقتها على أتمِّ سوادهِ والريحُ خلفكِ تنبج.

البارحة عند اكتمالِ الأسي. على حافةِ جرحِ نبيلٍ يبدأ، كنتُ تُهدرينِ  
الليلَ دمعةً بعد دمعة. تُبالغينِ سَترَ أنتِ حيثُ الأنينُ خاتمٌ في أصبعِ  
مبتورة.

وكنتُ بينكِ/حولكِ/أثناءكِ أسندكِ بالسُّهاد:

ألم كهذا جديرٌ بتلكِ الدموع.

ومن أجل أن تتسلَّ أشباحُ الوحشةِ تركتُ الشبايبكِ مفتوحةً. وأنرتُ  
المصايح.

درّبتُ وجهي على ابتسامةٍ مُقنعة، وصبرٍ واضحِ المعنى، يطولُ مع  
الليل.

الليلِ الأخير.

سألتك:

كيف أسلمتِ ظهرَكَ لسكّينِ صدئةٍ بيدِ الريح، ونزفتِ عمراً بمسراتِهِ

زفرةً زفرة.

كيف أبدلت أقواسك الملوّنة برمادِ الانتظار؟ وشطرتِ القلبَ كتفّاحة  
كيف زاملتِ الثواني الأخيرة  
بأيّ مبالاةٍ درأتِ مرارتها،  
وأيّ اختناقٍ كان؟

سألتك:

عن الزفراتِ الصغيرةِ المحرقة،  
عن الدموعِ التي لا تُرى،  
والمناديلِ التي تسحبينها سرّاً وتخفينها سرّاً بين طيّاتِ ثوبكِ المطعونِ  
بالوحشة.

عن ابتساماتِ زائفةٍ تبرقُ وتختفي، بانتظارِ فجرٍ يأتي بالفاجعةِ  
ناصعةً وخاطفةً.

عن مشقّةٍ أن تعرّفني، ولا يعرفُ سواكِ أحد.  
عن الجمراتِ، تقبضين عليها وملءُ عينيكِ التماعةً.

...

سألتك كثيراً، لكنك لم تجيبي.

...

هكذا،

ساعةً بعد ساعة،

أنفقتِ سوادَ الليلِ ساهمةً كفصنٍ ينسحقُ بمساميرِ واصدةٍ.

...

...

عند الفجر،  
كان جرحي يُجيد أُمَّه.

وغداً

لن يراك الناسُ إلا أختاً تَشْرُ أختها على طريقِ المطار.  
لكني سأرى  
شبحاً يجرُّ جناحيه واهناً،  
بينما قطراتُ دمٍ ترسمُ خيطاً يلمعُ بين أضلاعه والتراب.

## تهذيب الألم

ليس من أجلي أنهُضُ كلَّ صباحٍ بصوتٍ يتكسَّرُ  
وحلمٍ يصدأ.

ليس من أجلي أجولُ كلَّ يومٍ الأرصفةَ ذاتها.  
ضاحكاً من كتابةٍ ذكرى، مؤجلاً غدي برعبٍ يومي.

متوثبٌ للنسيان. مخلصٌ للسهو

أسهو عن مخاذلِ العيش  
عن الأصدقاءِ وهم يكذبون  
عن جثةٍ - هي الحقيقةُ - تبلغها فتموتُ بين يديكَ  
عن رعدةٍ تجيء وتسلُّ دونَ اكتراثٍ أحد  
عن ظلِّ زائفٍ وشعوبٍ بأجالٍ ورقيةٍ  
عن الخيانات

عن أطفالٍ يموتونَ قبلَ أن يُدركوا الرmq  
وعن شتلةِ المطاطِ تموتُ في الزاويةِ رغماً عني

...

ليس من أجلي  
أرصفُ أيامي لأنساها

لأستقبل أياماً قديمةً، كي أنساها مرةً بعدَ مرةٍ  
أنا الذي أريق عمري باحثاً عن عينِ نظيفةٍ وقلبِ طفلٍ  
عن أجسادٍ من الضوء وملائكةٍ ممكنين  
عن جدرانٍ بلا لافتاتٍ ورفقةٍ لا يضعون أقتعةً.

من أجلهم،

الساھون عن الحياةِ بالحياةِ  
ناكثو العهود، خبأزو الأفتدة  
أنهضُ كلَّ صباحٍ بصوت يتكسّر وحلم يصدأ  
واضعاً رهاني كي أخسرهُ  
أضعهُ وأعلمُ بتصدّع الروحِ وهشاشةِ الشكوى  
باللذاتِ التي خسرتها وتلك التي تنتظر  
بأرباحنا المختنقة، بأصابعِ القدرِ

...

ليس من أجلهم

ولا من أجلي

أجلسُ كلَّ مساءٍ

أفكرُ كيف أن أحزانَ الآخرين، دموعهم وخذلاناتهم المرة لا تُعير  
اكثرنا لأحد.

ترقدُ منسيةً ومُهملَةً، كإطارٍ على الطريق السريع.

## حتى تجد خلوتك الدافئة...

لن يهَمُّكَ ...

ستمشي في الشارع المكتظ وقت الغروب

وتحتدم بالحشود المربكة

الوجوه العجولة والوجوه الحائرة

ستنسى أنك نسيت

وتوفر دموعك قليلاً،

قليلاً حتى تجد خلوتك الدافئة

ستقول: لماذا؟

تسأل عن الأسباب التي تجعل السكاكين تخرق صدرك

وتحز رأس الصبر

...

...

لن يهَمُّكَ ...

أن تبكي قليلاً الآن،

فقد هدّ المساء انتظارك

وخلوتك السراب.

لا يهْمُكَ...  
أن تفتحَ الهاتفَ المحمول  
كلَّ هنيهة  
تطالعُ ثقبَ روحِكَ الهائِمة، وتكتم.

لا يهْمُكَ...  
أن يراكَ فضوليُّ عابر،  
أن يضحك.  
أو أن تعثرَ بعلبِ الكولا الفارغة،  
تعثرَ بالصوت.

الآن...  
بعد نسيانِكَ، بعد البكاءِ القليل، الفضوليِّ العابر  
والعثراتِ الصغيرة.

هل يهْمُكَ أن تعرفَ أنك منسيٌّ أو حاضر؟  
هل يهْمُكَ أن تُدركَ فداحةَ أن تبكي،  
تدركَ المسافةَ بين الحُلم واليقظة،  
تُدركَ الخسارة.

سِمْرُ الْوَقْتِ ثَقِيلاً أَوْ سَرِيحاً  
وَسَتَعْرِفُ أَنَّكَ، وَحَدَاكَ، صَدِيقُ الْاِنْتِظَارِ الْمُرِّ.



## الوحيد بغرفته الواسعة

ليل هانئٌ  
يمرُّ على الوحيد،  
بغرفته الشتوية العريضة  
موسيقى هادئة تنشرُ هواءً أخضرَ في الهواء،  
ومدفاةً في الزاوية...

...

...

ليل هانئٌ يمرُّ  
يعدُّ الوحيدُ خطاياهُ، ينساها  
يتذكَّرُ دفءَ الحديثِ مع صديقة.

ينسى مواعيدَ دوائه  
يتذكَّرُ ساعتَهُ العاطلة

لن يطولَ الوقتُ به  
قبل أن يمخرَ السماءَ دويُّ طائرة.

ينسى قنوات الأخبار  
يتذكر فيلماً عاطفياً خفيفاً

يفتح نافذته على سُبُلِ تتهتك  
يتذكر قطارَ الطفولةِ الخاطف، ينسى إخفاقه في الحب

يتذكر مواعظَ رجالِ الدين  
ينسى أنه لم يُصَلِّ

يتذكر مشردينَ على رصيف، عرأةً ومتسخين  
ينسى صداغَ أمِّه النصفِيَّ

.

.

.

الوحيدُ بملابسه القطنيةِ الواسعة  
لا يتذكر ولا ينسى

يلتحفُ الفراشَ الخضل  
ينامُ بلا أحلام.

## مُثَقِّلٌ بِالْغَائِبِينَ<sup>20</sup>

في المدنِ التي لم أرها منذُ أمدٍ  
المدنِ الموحشةِ كليلٍ مغبرٍ  
المؤبلةِ، كجمرةٍ في كفِّ طفلٍ  
لا أرى ولا أسمع إلا صوتَ الطفلِ في داخلي  
ناقصَ المسرّاتِ، كاملَ الخسارةِ.  
الطفلِ الذي نسي كيف يبكي  
ولا فرقَ في بكائه لدى الآخرينِ.

لن أتلَمَّسَ ندوبَ الممرّاتِ  
الممرّاتِ الدافئةِ التي جمعتني  
بمن أحبُّ ومن أكرهُ على حدٍّ سواءٍ؛  
الندوبَ التي أخذها الماضي وطواها تحت إبطيهِ.

لن أرى الشقراءَ  
عاليةَ النظرةِ، خفيفةَ المرورِ  
لن أرى صوتها  
يسدُّ على الجدرانِ شقوقها الداكنةِ.

الصَّبِيَّةُ الَّذِينَ افترشوا طفولتي  
أخذوا كلَّ مهاراتِ الفرحِ في قلبي، أقفلوه  
وتناهبوا المفتاح.

أمهاتي الكثيراتُ  
فرَّقن في الأمصار  
يباعد الرملُ بينهنَّ والعتاب  
ويحتفلُ الغيابُ بصورهنَّ في رأسي  
قد ألقى النحاتُ على وجوههنَّ سحره  
فشحبت شعورهنَّ  
وعاثت بغضارتهنَّ الأيام.

الطفلُ الذي في داخلي  
تركته، آخرَ مرةٍ، يركضُ على تلٍّ  
يفصلُ دجلةَ عن بيوتِ الأمنين بالله  
بينما شمسٌ صافيةٌ الضوء  
تربي على جبينه حباتِ عرقٍ كاملةً المعنى

...

لا زال يركض  
ولا زال الحلمُ أخضر.

## جوائز الخذلان

### I

من أجل مزاراتٍ مضرَّجةٍ بالندى،  
يُشعلونَ قاماتهم.

كأحضانٍ تشتهي الفجيلة  
كسنا بلِّ تراودها شهوةُ الاحتراق

...

يتناسلُ في جوفنا عَفْنٌ غربةٍ موكلَّةٍ بمداورةِ أباطيلنا الشاهقةِ وهي  
تلوحُ بأيامنا كمدِينِ دنيءٍ  
يخضرُّ بدرونا وَجَعُ الأمنياتِ إذ تجسُّ جروحنا ببساطيرها المألحة

لدفاترنا سخريةُ البياض  
لقلوبنا جرمُ السذاجة  
لأحذيتنا وفاءُ الثقوب!

أرسمُ على جدرانهم،  
نخلةً تحترقُ

وحتى أتقي هُزَّءَ المزنجاتِ وصياحِ بنادقِ ملثمةٍ  
أصمُّ أذني بجمرةٍ سافرة.

...

غائِمٌ وَجَهُ الْمَاءِ  
لِللَّافِتَاتِ السُّودِ  
تَارِيخُ أَهْلِ بِالصَّمْتِ  
وَلِلتَّوَابِيَةِ عَطَشِ

عَلَى كَتْفِي غِبَارٌ  
تَسْفُوهُ رِيحٌ فَقَدْتُ ذَاكَرَتَهَا  
وَهِيَ تَلْمٌ مِنَ النَّخْلِ اعْتِرَافُهُ

## II

سِنَوَاتُ الْأَسَى تَرْكُضُ فِي عُرُوقِنَا  
عَلَى جُلُودِنَا حَفَائِرُ الْغُرَبَاءِ، يَجْتَهِدُونَ لِيَنسُوهَا  
وَنَعِيشُ لِنَنسَى.

عَلَى النُّوَاذِ دَمُوعُ نَبِيلَةٍ  
وَإِنْتَظَارَاتٌ مُرَّةً.

ذَاكَرَةٌ تَتَّقِبُهَا صُورُ الرَّاحِلِينَ  
تَتَمَرَّغُ عَلَى ضَفَافِ خَيْبَةِ أَسْنَةٍ.

أولئك...

مسراًتهم مؤجلةً وجاحدة  
حدائقهم خربةً وماؤها حامض  
عيون أطفالهم مطفاةً كليلٍ أخير

كلَّ ليلةٍ

يعوون في صدري  
كعاصفةٍ نسيت أن تهدأ

صرعى على بابٍ

...

لأحلامهم  
جوائزُ الخذلان

## وهي تتحوّل إلى ملاك

إلى عبير

كما تحلُّ العُتْمَةُ فجأةً  
هبطَ مطرٌ آذار

...

في الخارج  
الحديقةُ تسهرُ بأشجارِ تينٍ راجفة.

هل أجعلُ أصابعي في أذني،  
كي لا أسمعَ نحيبها؟  
كيف مرّت البارحة؟  
بماذا فكّر رجالُ المارينز  
قبل أن يقتحموا عليها الدار  
ماذا سيقولون للربِّ؟

...

ألم يكنِ البابُ موارباً؟



وماذا عن أنينِ أختٍ منتظرةٍ، وأبٍ يتعثَّرُ الرعبُ  
على لسانه ويموت؟

ماذا عن سعالٍ أمٍّ سقطَ النعاسُ من رأسها  
وظلَّ واقفاً على الباب؟

ماذا عن أيديهم القوية وهي تُوثقُ يديكِ الطفلتينِ إلى الخلف  
ليفعلوا ما يفعلون؟

ماذا عن الصبيةِ في الغرفةِ المجاورةِ  
مكَّورينَ عند الزاوية؟

ماذا عن الـGC؟

باردةٌ وسريعةٌ أكثر مما ينبغي.

كم عصفوراً أطاحت به من رؤوسهم المغمضة

كم من الأحلام؟

وكيف سَرَتَ نيرانٌ كثيفةٌ بأضلاعِ البيتِ

وتنفَّسَ الفجرُ دخاناً ثقيلاً يتصاعدُ ببطءٍ من جلودكم؟

...

## طقوس العطشى

### I

أسمحينَ لدهشتك أن تيزغَ  
من النوافذِ المؤجلة؟  
...

وفي أيِّ أصباح  
- نُصلي لها -  
تخرجين؟

فلم يزل مجانينك  
يقبلونَ أجفانهم بالصلاة  
بعدهما أودعوا شاطئَ الحلمِ  
قارورةً حبلى  
بورقِ الاعتراف  
...

تجمدتُ أحداقهم  
وهم يرقبونَ شتاتها في المدى  
...

فِي عُنُقِ الزَّجَاجَةِ  
تَحْشُرُجُ دُمُوعُهُمْ

## II

تَتَسَاهَمُ مَوَاعِيدُكَ  
تُهْمَلُهُمُ الشَّرَفَاتُ

كَمْ نَقَشُوا أَرْضَكَ  
بِعَطَشِ الْإِنْتِظَارِ؟

## III

غَزِيرٌ سَكُوتُكَ بَيْنَهُمْ

...

الْوَاهِبُونَ  
خِلَاصَةَ الْعَمْرِ، زَهْرَةَ الْوَجُودِ

يُشْعَلُونَ مَصَابِيحَ الْحُلْمِ  
يَتَدَفَّقُونَ بِالنِّسْيَانِ

يُبَلِّغُونَ أَصْوَاتَهُمْ بِمَائِكَ

فهل تذكرينَ أسماءهم  
أيتها اللائذةُ بالهروب؟

## دهشتي كُلُّها

تَعْتَمِرِينَ قَبْعَةَ الْفَرَحِ  
تَأْخِذِينَ مِنَ الشَّمْسِ أَسَاوِرَهَا  
عَلَى بَابِكَ، أَوْقِفِ السُّطُورَ وَالْأَزَامِيلَ  
خَضِلْ قَلْبِكَ، يَا سَيِّدَةَ النَّهَارَاتِ

لك...

لِقَوَادِمِ الْأَيَّامِ  
أَشْرَعُ نَافِذَةَ الْإِنْتِظَارِ.

...

لَأَنِّي غَائِرٌ بِسَحْنَةِ الْخَجَلِ  
صَحْتُ بِأَلْمِي: لَا تَتَكَسَّرْ،  
أَجْلَسْتَهُ عَلَى دَكَّةِ الْمَخْذُولِينَ  
وَقَلْتُ لَهُ: ائْتِظَرْ،  
سَتَحُطُّ عَلَى شُرْفَاتِنَا فَوَاحَتْ الْأَفْرَاحُ

...

سأدعُ عندكِ دهشتي كُلِّها  
وأَمْضي...  
مخترعاً لجمالِكِ اسماً  
لوقوفكِ جِبالاً  
أَعْلَهُ بِماءِ لَيْسَ مِنَ المَعصِراتِ  
وَأَسْطُرُكِ حُلماً، حُلماً

لا تُخِيفَنِي الأَيامُ ولا اللِيالي  
وأَراهُنَّ عَلى أَنكِ آخِرُ كَسْرِ الصَبْرِ  
وأَنْكِ سَتائِينَ.  
رَبِّما سَتائِينَ.

## فَظَلَّتِ الْمُرَاةُ بَارِدَةً

كالجمرِ هو الغروبُ هنا  
وقفتُ في منتصفِ الطريقِ  
على صدري  
بقايا زفيرِكِ قبل أن تُعيريني للأسى  
وفي يدي  
لبقايا يدَيكِ، حنين.  
...

طويلٌ هو الليلُ  
مع صورتكِ المبلّلةِ بفضّتي  
ها قد خانتني عيناي مرّةً ثانيةً  
فَظَلَّتِ الْمُرَاةُ بَارِدَةً  
لن أطيلَ شكواي وأنتِ غائبة  
فربّما اقتنصتِ عيناكِ الآن  
حلماً أزرقَ ونمتِ.

## صورة فوتوغراف

هل ورطتُ الندى حين قارنتُ بينكما ذاتَ غربة؟  
وهل بغيركِ يلوذُ فراشُ البرية؟

وحيدةً أمضت ليلتها شجرة الآس  
وأصص الدفلى.

لم تتركي شيئاً لعصافير الشرفة الصيفية.

وكما لا أشتهي  
يُشاركني فطوري الأسى.

أتوجك بالحنين  
فتتوجيني بالغياب.

أفتح قميصي، عله يهرب  
النرجس الذي تزرعينه على صدري

وحتى أغيظ اشتياقي  
لا أبتدئُ نهاري إلا بصوركِ الفوتوغراف



أَتَذَكَّرُ الْآنَ

نظراتك المرتبكة وَأنتِ ترقبينَ تأخري كلَّ مساء  
يديك، مضرَّجتينِ بالندى  
التماعةَ عينيكَ الناعستينِ وَأنتِ تحتفينِ بي.

كم سألتك حينها:

من وشى للعصافيرِ بمكانك؟  
من هربَ قوسَ قزحٍ ليرتمي شريطاً بينِ خصلاتك؟

ومن أين جاءت كلُّ هذه الفراشات؟

## إذ تعكس الشمس أحمر شفاهك...

فيما يذيعون عن فرّق تتناحرُ وبيارق تهتزُّ بوعودٍ مفرعة. تبدو المروجُ ممتدّة كالمدى، وتبدين زاهرةً هذا النهار.

لنعدُّ خلف سعادتنا، بين القصبات النحيفة، الخجولة لكن الطيّبة. لا بدّ للسماء أن تفرشَ غيوماً حانية، وتمدّ يداً ودودةً تضحك بألوانٍ سبعة. لنجرِ حدّ الإعياء، ونخطّ ذكرى في قلب الشجرة العجوزِ أعلى التلّة.

ترى كم من العصافير على أصابعها الطويلة؟ وكم منها ترقصُ في عينيك؟ سنغمرُ قمصاننا بالعشب، نتيه عن الوقت، عن النهر الذي يفصلُ اتحادنا، جوهرة تلتمع في تيه العدم.

ستصافحُ النسماّت جديلتك العابثة ولن تتقضي الساعات إلا ونحن منهكون بين الحطبات والخراف الطيّبة. اركضي وأنا خلفك، وحاذري أن أمسك بك.

...

لنذهب جهة الشاطئ، نحضن زرقته بأحداقنا، نكتري زورقاً ينتهي

بقلبيننا المرتجفين لأمواج تصخب. سنحيا كما نشاء اليوم.

كيف يقالُ الحب؟ أهمسُ، ... تُتصتين.

كم منك فيّ؟ تهمسين، ... أنصت.

ستكلميني عن أقرائك الطويلة، عن الأبِ الصارم، وإدمانك القهوة.  
سأطلبُ لروحك نهاراً هائئاً،  
نهاراً دون بيارقٍ ووعود.  
سيُجافينا المللُ. ولن أسألَ عن يديكِ الملتبستينِ كالفجرِ.

## كما تدخل شارعاً بالخطأ

ليست لي  
هذه المكتنزة بالمسرة  
شفيضة البسمة  
محتالة اللفات

ليست لي إذاً،  
هذه الضحكة خلف الباب  
همس العناق  
وغواية الخدر

...

....

حسناً لأفتح النافذة  
فثمة مطرٌ خفيفٌ يهبط  
ثمة ريحٌ تسفوقايا العابرين

...

ثمة يومٌ جديد

## رسالة ستضلُّ عنوانها أيضاً...

1

أَتَذَكَّرُ الآنَ بلحظة شاردة هبَّتْ عليَّ فجأةً، أَتَذَكَّرُ وجهها المتبتلَّ ورائحةَ عناقنا الأخير، صَبْرَها على تأخري الدائم في إيفاء العهود، تلك التي تصبُّ الحياةَ مركَّزةً في فمي، بعد أن تصفيتها شيئاً فشيئاً عبر قلبها المرتعشٍ بحيرته. راسمةً - مهما حدث - ابتسامةً قديس.

2

أَتَذَكَّرُ أني سألتها مرّةً، إن كنا سنصل! كان السؤالُ يتيههُ مرتبكاً بين لفحاتِ هواءٍ رطبٍ يبيلُّ أرضَ الغرفةِ والجدرانِ السميكة، كان السؤالُ ثقيلاً بالمرّة، وكانت تتجاهله بما لها من عيني طفلٍ ورائحةِ ملاك، مشغولةً بستايرِ النافذةِ وترتيبِ قطعِ الأثاثِ القديم. كانتِ الأشياءُ حولنا تتماوجُ بين حضورٍ وغياب. رزمةُ الكتب، أشرطةُ الدواء، كوبُ القهوةِ البائتُ وبضعُ أوراقِ نقديّةِ تالفة. وحدها كانت تمنحُ الأشياءَ لونها ومعناها العتيق. وتبَدَّدَ عبثَ الوقتِ وبلاهته. رغم ذلك، لم نَحْظْ بإجابةٍ قط.

### 3

وكورقة خضراءٍ في حديقة، قريبة، وبعيدة كسحابة.  
صرتُ مجذافاً كلما صارت زورقاً، وشارعاً كلما ازدحمت بالآخرين.  
وليس كأية امرأة، كانت تُجيد القول:

- الأمنية... عذابُ الروح.

- الألمُ أحرصُ ولا يحسنُ النطق.

كنتُ أدونُ ما تهمسُ...، تدوينَ ملاك يُصارعُ جحيمه الخاصة،  
مثقلاً بذنوبِ غفلته، كنتُ أرقبُها تنوءُ بجرحها القديم، مخفيةً - ما  
استطاعت - حبات من دمعها الأسود، ينزلُ سريعاً، فتخذلُها المناديل.  
لم أخبرها أنها المرّة الأخيرة التي ستراني فيها، ما تجرأتُ أن أطعنُها  
برحيلي إلا وأنا محتدمٌ فيه.

### 4

تركتُ عند بريدها الالكتروني رسالةً أخيرة:

«لكِ أن تعيشي كما ترغبين

...

ولي أن أحلم»

كانت رسالةً ضائعة، مثل التي أكتبها الآن.

## أوزار المعنى

الآخرون، وحدهم  
من يجعلوننا تكبر  
هم أيضاً، بإمكانهم  
أن يدعونا صغاراً  
إلى الأبد.



## افتراضات

•  
يترسَّبُ هَمِّي  
ضباباً أسوداً  
فيقلُّ في رثتي، بياضُ الفرحة

••  
المطرُ يبكي...  
يغسلُ دمَ الضحايا  
العالقَ في هوائنا؟

•••  
الجدار،  
لا ثقبَ فيه  
ولا أملَ... في ثقبٍ يظهر!

••••

جسدُ الفرحِ  
والحزنِ... روحُ

.....

الغيمة،  
كم تعذبني  
إذ تمنعُ عني زرقَةَ السماء

.....

النهرُ  
دمعةٌ تجري على خدِّ الأرض

.....

## فاختات تطردُ النحس

بلا يأس  
تُخَطُّطُ الفاختاتُ السماءَ الكُئيبَةَ

وتمضي،

تمنحُ الرِّيحَ أسرارَها  
وتتركُ الرِّيشَ للنوافذِ  
وللفجرِ هديلاًها المتصل

من دون أن تدري  
تصنعُ للصبيِّ ذاكرةً  
للأعشاشِ دفتها  
للبهجة... أن تكون.

هذه الأسرابُ المتناثرة  
على شُرْفِ الصبايا النواعسِ  
على نوافذِ المسعولينِ  
وأبوابِ الأولياءِ  
والقبابِ المذهبةِ العاليةِ  
لم تزل تُرتقُ أحلامنا المشروخة بالخيبة

وكما يرجعُ أبٌ في مسائه خائباً  
كما يغافلُ صبيةٌ أحلامهم بأخطاءٍ مبتورة  
تغيبُ الفواخت في العاصفة

وعندما تشحبُ أيامنا صبيةً كادحين  
تفركُ نعاسَ الزقاقِ بخفقتها  
تُباركُ الفجرَ لهم  
والطعام.

لها ودُّنا  
لا يُنقصُه دمعُ الراحلينَ دون سبب.

## الرويشد (\*)

أَيُّكُونُ النَّهْرُ أَقْرَبَ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى؟  
وَتَكُونُ لِي بِرُودَتِهِ كُلِّهَا  
وَأَمْنَحُهُ الرَّجْفَةَ.

النَّهْرُ الْبِنِّي  
يَشْفُ عِنْدَ أَقْدَامِ النَّسْوَةِ الْمُعْتَمَّاتِ بِالْمَلْمَلِ الْخَشَنِ  
يَتْرِكُ لِلْجَرْفِ مَحَارَاتٍ هَادِئَةَ اللَّوْنِ  
وَأَكْدَاسَ طِينٍ حَرِّيٍّ يَجْفُ  
وَبَيْنَمَا الزُّبَيْرُ يَشْكُو وَيَعْتَاشُ  
تَغْفُو الطُّحَالِبُ الْخَجُولَةُ بَيْنَ شَقْوَقِ الْمَشَاحِيفِ.

...

...

خَضْرَاءُ خَضْرَاءُ  
عَيُونَ الرُّوَيْشِدِيَّاتِ  
وَطَوِيلَةٌ هِيَ النَّهَارَاتُ هُنَا

لكلابهم ماؤها  
وما يكضيها من النباح  
وللطينِ السيادةُ والخلودُ

الفلاحُ المدخنُ  
يرمقُ صغارَهُ بالرضا  
أولئك،  
أخلاء الطين  
بشعورهم الشقراء المشعّنة  
وجلودهم العارية.

...

طويلةُ النهارات  
خضراءُ عيونُ المازّة.

---

(×) الرويشد: قرية تقع على ضفاف دجلة في قضاء علي الغربي.

## فَرَّاشٌ يَأْتِي

باللمسات النديةِ سنوقظهم  
بصوتِ تَبَلُّه الرحمة  
ووجهٍ تغارُ منه الملائكة.  
سنشتري لهم الحلوى  
والكثيرَ من اللعَبِ المدهشة.  
لن يضطروا إلى انتظار العيد  
كي يركبوا الهواءَ ويصافحوا المدى بأراجيحهم  
وستسعدُ بهم غرفتنا الوحيدة  
ومصباحُها الخافت.

ما شاؤوا من سهرٍ سنمنحهم  
وما شاؤوا من اخضرارِ السنين.  
سَنَدَسُّ في وسائدِهِم الأَس  
كي يكبروا كالفَرَّاشِ المتوجِّج  
لا معاطفَ لأكتافهم سوى القبلات  
ولا أَسْرَةَ غير أحضاننا المُجهدَة

ستكون لهم شمائلُ الجنوب  
رائحةُ الطيب،  
وثوبُ العافية

سيملؤون كراريسهم بالياسمين  
لا مدافع ولا فوهاتٍ بنادق

لن تطأهم الفجيرة  
ولن تمسَّهُم شمسُ الخسارات

لهم أسماؤنا  
ولنا منهم، معنى أن نكون

آه كم أحبهم،  
أطفالنا الذين سيأتون...



## كلاكيت

هكذا، ومثل كل مرّة،  
أخطُّك صليباً  
أعلِّقُ بأكتافه أيامي المشنوقة.

## ما يتركه المارة، مسرعين

أتأمل أمي تصنع خبزها بتورٍ فزعنا.  
أتأمل أبي، يسندُ بيتنا لئلا يشيخ.  
أتأمل ابنتي تثقلني وترفعُ عني  
أتأمل مروحةَ السقف ساكنةً منذ البارحة  
أتأمل يومي وهو يمرُّ  
أتأمل الخديعةَ والخيانةَ والخسارة  
أتأمل الساعةَ قاسيةً، لا تنتظر.

أتأمل نفسي وأنا أتأمل.

## أمنية

كم تمنيتُ، وأنا أُسَلِّمُ نفسي كل ليلةٍ إلى تمرينِ الموتِ،  
ألا أستيقظُ ثانيةً.

## أوان

لا تملُّ أو تغضبَّ أو تكتتب  
لا وقتَ حتى لذلك،  
وانظرَ إلى كلِّ ما يلمَسُ حولك، تشرَّبَ فيه جيِّداً  
قبلَ أن يتلاشى  
قبلَ أن يتحوَّلَ / تتحوَّلَ إلى محضِ ذكرى.

## الباكي الوحيد

البحرُ، ما جاء بكلِّ الجمرِ النابتِ في الهواء  
ولم يفتحِ الأبوابَ للأحياءِ والموتى  
ليمرُّوا إلى رصيفِ الضوءِ ببطءٍ

كلُّ الحتوفِ التي خطرتْ على بالكِ قبلِ هذا اليومِ  
كانت محضَ لُعبةٍ  
لا ليلٍ سيُفزعك أكثرَ بعدَ الآنِ  
ولا نهاراتٍ تهدئُ من روعك  
لا سلالِمِ توصلك أعلى مما وصلت  
ولا شيطانٍ سيُشدُّك إلى قلبِ الارضِ

أيقنتُ أنكِ خاسرُنَا الأكثرُ ربحاً  
وضائِعُنَا الأشدُّ وصولاً  
وأسيرُنَا الأنصعُ حريةً

أيقنتُ

أن حيواناتك أليفةٌ  
أن جياحك عبادُ فشلةٌ

وأنت الباكي الوحيد  
كلما أغلقتُ البابَ على أحياء وموتى تناهبهم الجمرات.

## المحتويات

|    |                           |
|----|---------------------------|
| 7  | كأن لا ليل قبله           |
| 11 | خيار خاسر                 |
| 14 | وسواس                     |
| 16 | مشقة أن تعرف              |
| 19 | تهذيب الألم               |
| 21 | حتى تجد خلوتك الدافئة     |
| 24 | الوحيد بغرفته الواسعة     |
| 26 | مُثقل بالغائبين           |
| 28 | جوائز الخذلان             |
| 31 | وهي تتحوّل إلى ملاك       |
| 33 | طقوس العطشى               |
| 36 | دهشتي كلّها               |
| 38 | فظلت المرأة باردة         |
| 39 | صورة فوتوغراف             |
| 41 | إذ تعكس الشمس أحمر شفاهك  |
| 43 | كما تدخل شارعاً بالخطأ    |
| 45 | رسالة ستضلّ عنوانها أيضاً |
| 47 | أوزار المعنى              |
| 48 | افتراضات                  |

|    |                             |
|----|-----------------------------|
| 50 | فاختات تطردُ النحس          |
| 52 | الرويشد                     |
| 54 | فَرَّاشٌ يَأْتِي            |
| 56 | كلاكيت                      |
| 57 | ما يتركه المارَّةُ، مسرعينَ |
| 58 | أمنية                       |
| 59 | أوان                        |
| 60 | الباكي الوحيد               |





أَيُّكَونُ النَّهْرُ أَقْرَبُ مِنْ أَيِّ يَوْمٍ مَضَى؟  
وَتَكُونُ لِي بِرُودَتِهِ كَلِّهَا  
وَأَمْنَحُهُ الرَّجْفَةَ.

النَّهْرُ الْبَنِي  
يَشْفُ عِنْدَ أَقْدَامِ النَّسْوَةِ الْمُعْتَمَّاتِ بِالْمَلْمَلِ الْخَشَنِ  
يَتْرِكُ لِلجَرْفِ مَحَارَاتٍ هَادِنَةَ اللَّوْنِ  
وَأَكْدَاسَ طِينِ حَرِّيٍّ يَجْفُ  
وَبَيْنَمَا الزَّبِيزُ يَشْكُو وَيَعْتَاشُ  
تَغْفُو الطَّحَالِبُ الْخَجُولَةُ بَيْنَ شَقُوقِ الْمَشَاحِيفِ.

...

...

خَضْرَاءُ خَضْرَاءُ  
عَيُونَ الرُّوَيْشِدِيَّاتِ  
وَطَوِيلَةٌ هِيَ النَّهَارَاتُ هُنَا

لِكَلَابِهِمْ مَاؤُهَا  
وَمَا يَكْفِيهَا مِنَ النَّبَاحِ  
وَلِلطَّيْنِ السِّيَادَةَ وَالْخُلُودُ